المصطلح البلاغي لدى الجاحظ التأسيس والامتداد – الاستعارة نموذجا –

الدكتور: نورالدين دريم
جامعة الشلف

مقدمة

اهتمّ علماء العربيّة – القدامى والمحدثون – بالبلاغة العربية، اهتماما منقطع النظير، ويظهر ذلك جليّا في تنوّع المؤلفات التي مسّت جوانب كثيرة من البلاغة، فمنها ما أرّخ للبلاغة وحدّد مراحلها، ومنها ما اهتّم بمصطلحاتها، وركّزت أخرى على ترجمة أعلامها وإبراز إسهاماتهم في ضبط مسائلها وقوانينها، دون أن ننسى تلك المؤلفات التي تناولت صلة البلاغة بالعلوم الأخرى، كالنحو، والتفسير، والإعجاز... وغيرها.

وبنظرة عجلى للتراث اللغوي العربي، نجد أنّ قضية الإعجاز القرآني كانت الموجّه الأكبر للبلاغة العربية، في مختلف أطوارها: نشأة، ونموا وتطوّرا، واكتمالا؛ لأنّها كانت سببا مباشرا ودافعا معنويا لجمع كلام العرب، و" حفظه وتدوينه، وتفسيره، ودراسة أساليب القرآن الكريم البيانية، ومقابلتها بأساليب البلغاء، ثمّ استخلاص عناصر الجودة في الأولى، ومواضع التقصير في الثانية؛ ليظهر امتياز القرآن الكريم على كلام الفصحاء الذين استوت لديهم ملكة البيان، ومن أجل خدمتها خاضوا في مسائل البلاغة كالقول في المجاز، وبيان مكانته في التعبير الفني الجميل، والتشبيه والتعمق فيه، والإيجاز والإطناب والالتفات، وبيان الميزة البلاغية وأين تكمن "[1].

لذلك عدّ القرآن الكريم من العوامل الرئيسية التي ساعدت على انطلاق الدراسات البلاغية، وكانت البحوث التي أقيمت حوله خميرة صالحة لبروز مثل هذا التفكير[2]، فلاحت إلى الأفق إرهاصات التأسيس للبحث البلاغي لدى العرب.

وقد حثّ غير عالم على تعلّم فنون البلاغة، ومكاشفة مباحثها، خاصة إذا ارتبطت الدراسة بإعجاز القرآن، وبيان وجوهه، يقول أبو هلال العسكري" إنّ أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفّظ، بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه، علم البلاغة ومعرفة الفصاحة، الذي به يعرف إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحقّ، الهادي إلى سبيل الرشاد، المدلول به على صدق الرسالة، وصحة النبوّة، التي رفعت أعلام الحقّ، وأقامت منار الدين، وأزالت شبه الكفّار ببراهينها، وهتكت حجب الشك بيقينها "[3] ، فتكون البلاغة في هذا المنحى وسيلة لغاية، فالباحث في مواطن الإعجاز في النص القرآني من وجهة بلاغية ، لابدّ له من المرور على جسر البلاغة؛ ليكشف عنها.

وغير بعيد عن هذا ما ذكره عبد القاهر الجرجاني، مبيّنا مزايا علم البيان وفضائله، إذ يقول:" ثمّ إنّك لا ترى علما هو أرسخ أصلا، وأبسق فرعا، وأحلى جنى، وأعذب وردا، وأكرم نتاجا، وأنور سراجا من علم البيان، الذي لولاه لم تر لسانا يحوك الوشي ويصوغ الحلى، ويلفظ الدرّ، وينفث السّحر، ويقري الشهد، ويريك بدائع من الزّهر، ويجنيك الحلو اليانع من الثّمر، والذي لولا تحفّيه بالعلوم، وعنايته بها وتصويره إيّاها؛ لبقيت كامنة مستورة

ولما استتبت لها يد الدّهر صورة، ولاستمرّ السّرار بأهلّتها، واستولى الخفاء على جملتها إلى فوائد لا يدركها الإحصاء ومحاسن لا يحصرها الاستقصاء "[4].

من هنا وجّهت هذه الدراسة لاستقراء بعض المصطلحات البلاغية لدى الجاحظ، في كتاباته، وركّزت على مصطلح الاستعارة، ولبيان ذلك قامت هذه الدراسة على جملة من الإشكالات نذكرها في ما يلي:

– ما منطلقات البحث البلاغي لدى الجاحظ، وما علاقة ذلك بالنص القرآني؟

– ما المصطلحات البلاغية التي تضمنتها مؤلفات الجاحظ؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليات، تطرقنا إلى معالجة مجموعة من المباحث رأيناها تمت بصلة للدراسة، وأهمّها:

– مميزات البحث البلاغي في عصر الجاحظ.

– البحث البلاغي لدى الحاحظ.

– المصطلحات البلاغية لدى الجاحظ

وقد اعتمدت في معالجة هذه القضايا على المنهج الوصفي، متخذا من التحليل آلية في أغلب مواطن الدراسة، كما لم أغفل المنهج التاريخي في بعض مواضع البحث، واعتمدت على الاستقراء كآلية للكشف عن المصطلحات البلاغية الواردة في كتابات الجاحظ.

1. مميزات البحث البلاغي في عصر الجاحظ.

إنّ تاريخ وفاة الجاحظ (159/150هـ – ت255هـ) يشير إلى أنّه قد عاش خلال العصر العباسي (132هـ–656هـ)، وبالذات في الصدر الأول منه، وقدّ عدّ الدارسون هذا العصر (العباسي) أزهى العصور للحضارة الإسلامية في شتّى المجالات، وبخاصة المجال اللغوي بمختلف فروعه، حتّى سمّاه النقاد " العصر الذهبي "؛ لأنّ رقعة الدولة الإسلامية اتّسعت، والأجناس غير العربية (الفرس، الهند،...) بالعرب اختلطت، وفيه التيارات الفكرية انتشرت، وقد أثّرت أيّما تأثير على توجّهات الدرس البلاغي، وأمّا الملاحظات البيانية في صدر هذا العصر فقد اتّسعت ودقّت " بحكم التعمّق في الحضارة، وفي الثقافات الأجنبية، وإتقان الموالي للعربيّة إتقانا جعلهم يكثرون من ملاحظاتهم على خصائصها البلاغية. ومضى كتّاب الدواوين ينهضون بكتاباتهم ناثرين كثيرا من الآراء البيانية التي صدروا فيها عن ثقافتهم وأذواقهم الحضارية المهذّبة ومشاعرهم الدقيقة المرهفة... ونرى اللغويين والنحاة في تضاعيف تعليمهم للشباب الأصولَ اللغوية والنحوية ورواية الشعر القديم يعنون بالتعرض لبعض الخصائص الأسلوبية والبيانية "[5].

وفيه نشطت حركة التأليف، وقد مسّ جزء أكبر منها وركّزَ جلّ اهتمامه على الدراسات التي خدمت القرآن الكريم، فظهرت مؤلفات اعتنت بلغته، وثانية اعتنت بتفسيره، وثالثة اعتنت بمجازه، ورابعة أولت عناية كبرى بنظمه ووجوه إعجازه... ويمكن أن تقسّم هذه الدراسات من وجهة بلاغية إلى أربعة اتّجاهات، وهي " اتّجاه

الأدباء والنقاد والكتّاب والرواة، واتجاه النحويين واللغويين، واتجاه دراسات الإعجاز القرآني، واتجاه الدراسات الفلسفية البلاغية "[6]، وفيما يلي بيان كل اتجاه:

الاتّجاه الأول: ونرصد فيه ثلّة من النقاد والأدباء والرواة والكتّاب الذين أسهموا بحظ وافر في التأسيس للمباحث البلاغية في مهادها الأول، وقد مثّلت ملكة السمع في هذا الاتّجاه الأساسَ الذي ينبني عليه الذوق الجمالي وعن طريقها تُلقّفت مواطن البيان، وهو مع ذلك اتّجاه " يربي الذوق، ويشرح العبارة، ويحافظ على بيان التركيب ووضوحه "[7]، وأفضل من مثّل هذا الاتجاه: الجاحظ (ت255هـ) في كتابه البيان والتبيين، وعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) في كتابيه الدلائل والأسرار، وابن الأثير (ت637هـ) في كتابه المثل السائر.

الاتجاه الثاني: ويضمّ هذا الاتجاه علماء كثر – لغويين ونحويين – كانت غايتهم الاهتمام الأمثل بالنّص القرآني، فهم وإن اختلفت مناهجهم في دراسته فهدفهم واحد مشترك؛ لأنّهم حاولوا إبراز وجوه إعجازه من وجهة لغوية ونحوية، ويظهر هذا عند أبي عبيدة (ت210هـ) في كتابه مجاز القرآن، وعند ابن فارس(ت395هـ) في كتابه الصاحبي في فقه اللغة، وعند ابن جني (ت392هـ) في كتابه الخصائص. وقد شكّلت المباحث اللغوية في مؤلفات أصحاب هذا الاتجاه نواة النظر البلاغي عند أصحاب الاتّجاه الأول في مرحلة تالية (مرحلة التنظير البلاغي).

الاتجاه الثالث: كان هدف أصحاب هذا الاتجاه إيجاد طرائق لفهم أساليب القرآن الكريم من وجهة بلاغية، للوقوف على وجوه إعجازه، وقد ظهر ذلك في كتب الإعجاز القرآني، وعلى رأسها: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم للرماني (ت386هـ)، والخطّابي (ت388هـ)، وللجرجاني (ت471هـ)، وتأويل مشكل القرآن وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ت276هـ)، وإعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني (ت403هـ).وقد مثّلت هذه " الكتب طرائق فهم القرآن الكريم من خلال الوجهة البلاغية، وهي لا تختلف في هدفها عن الدرس البلاغي عند البيانيين، إلاّ أنّها تجعل هذه المفردات البلاغية في كلام العرب خدمة لكتاب الله، إذ لا تقف في إظهار اللون البلاغي في كلام العرب، بل لا بدّ من وصل ذلك بكلام الله تعالى"[8]، فمدار الأمر كلّه خدمة النص القرآني وكشف جوانب إعجازه من وجهة بلاغية.

الاتجاه الرابع: وأبرز من يمثّله – وقد عايش مرحلة التحجير أو الجمود كما اصطلح عليها– السكّاكي (ت626هـ) في كتابه مفتاح العلوم، وبالتحديد القسم الثالث منه، وبعض كتب التلخيص وشروحها، وما يلفت النظر في هذا الاتجاه أنّه " كان مفهوما في عصره، وذلك لأنّ الذي لخّص قد قام بعمل يتكئ فيه على غيره، كما أنّ الذي شرح اعتمد على مشروح غيره، والذي كتب التقرير قد أسس على كلام غيره "[9]، بمعنى أنّ روح الإبداع في هذه الفترة قد فقدت؛ وشكّل الشرح والتلخيص محور الدرس البلاغي وأهمل النظر في المتن والملخَّص، ممّا صعّب دراسة هذا النوع من البلاغة.

وإنّ محاولة الإلمام بهذا الاتجاهات وظواهرها في عصرنا، ترشدنا إلى أنّها " تدور في البلاغة القرآنية، والاتّجاه الأدبي، وآخر نقدي، ورابع فلسفي، وكلّها لها رسوم ومعالم واضحة، ومؤلفاتها تتراءى في حشد كبير في

المكتبة العربية في العصر الحاضر "[10]، وإنّما تبنينا هذا القول؛ لما ميّز منهج مؤلفيها في معالجة الظواهر اللغوية، بما في ذلك النص القرآني، وخاصة المنحى البلاغي فيها.

وما يهمّنا في بحثنا هذا هو الاتجاه الذي ينتمي إليه الجاحظ ، والسمات البلاغية التي ميّزت هذا الاتّجاه، حيث كان فيه البحث البلاغي في بداياته الأولى، فجلّ الملحوظات البلاغية قبل نزول القرآن الكريم، وفي العصر الإسلامي الأول، كانت خاضعة للذوق، مع الاستناد إلى بعض القواعد التي من شأنها أن تفضي إلى تعليل القول إن على مستوى الجودة أو الركاكة، " ولمّا اتسعت الفتوحات الإسلامية، واختلط العرب بغيرهم، وضعف الاعتماد على الذوق وحده؛ كان لا بدّ من أن تقعّد القواعد، وبذاك جاء البيان والتبيين وغيرها من كتابات الجاحظ، فمثّل عصره المرحلة الأولى لنشأة البلاغة العربيّة، والتأسيس لها.

2-البحث البلاغي قبل الجاحظ:

يتغافل كثير من الدارسين عن كتب معاني القرآن، على الرغم من تضمنها لمادة بلاغية غزيرة، عند الحديث عن بدايات التأسيس للبلاغة العربية.

يكاد يجمع الدارسون القدماء منهم والمحدثون، أنّ المؤسس الأول لقواعد البلاغة العربية، ومنشئها هو الجاحظ، فهم يقرّون له بفضل السبق، وخاصية التفوق في هذا الشأن.

فهو يرى أن تقوم الكتابة والكتاب كبديل حضاري عن اللفظ[11]، ويظهر ذلك في عدة نصوص لديه، منها قوله " وقد قال ذو الرّمة لعيسى بن عمر: اكتب شعري، فالكتاب أحبّ إليّ من الحفظ، لأنّ الأعرابي ينسى الكلمة، وقد سهر في طلبها ليلته، فيضع في موضعها كلمة في وزنها، ثمّ ينشدها الناس، والكتاب لا ينسى ولا يبدّل كلاما بكلام "[12]، وجاء في موضع آخر ما نصه " ولولا الكتب المدوّنة والأخبار المخلّدة... لبطل أكثر العلم، ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر، ولما كان للناس مفزع إلى موضع استذكار "[13].

عرف عن الجاحظ غزارة المادة المتجمعة لديه (الفكر الموسوعي)، وعدم توفقه دائما إلى سياستها وترويضها، لم يخصّ في المتبقي من آثاره، البحث البلاغي بكتاب مستقل يجمع مسائله ويبوّبها، واكتفى بإدراجه في ثنايا مؤلفاته، بنسب متفاوتة تتحكم فيها ضرورات البحث ومحركاته، فجاء في صورة ملاحظات وتعليقات متناثرة لا يوحّد بينها، أحيانا إلاّ السياق الأدبي العام، واهتمام المؤلف بأفانين القول وصوره وطرقه، ومردّ ذلك أساسا أنّ التفكير البلاغي كان إلى عهده في طور النشأة الأولى لم يشتد منه إلا النزر القليل، يضاف إلى ذلك مكانة الرجل الأدبية، التي انبنت أساسا على طريقته في الكتابة وابتداعه الأساليب وقدرته على التصرف فيها بكيفية لعلها لم تتوفر لسواه، فكانت مؤلفاته مصدرا للإنشاء الأدبي الحي ومدرسة في النثر قائمة برأسها[14]

3.المادة البلاغية لدى الجاحظ:

أجمع النقاد والدارسون على أن البيان والتبين، " هو قطب التأليف الأدبي عند الجاحظ، ومعدن تفكيره البلاغي وملاحظاته البيانية "[15]، ولكن المتأمل في مؤلفاته الأخرى يقف على إشارات أدبية ولمحات بلاغية،

تعين على الإحاطة بأصول التفكير البلاغي وخصائصه لدى الجاحظ، ونخص بالذكر كتاب الحيوان؛ لذلك رأى حمادي صمود أن تقسم المادة البلاغية انطلاقا من مؤلفاته إلى ثلاث مراتب[16]:

1- **مجموعة الرسائل والبخلاء:** المادة البلاغية فيها قليلة صعبة المنال، والوصول إليها يكون عن طريق القراءة المتأنية، بسبب منهج المؤلف واستطراداته، ومع ذلك يمكن أن نقف من خلالها على دراسة شاملة للتفكير البلاغي والأدبي للجاحظ. (مثلا: ذكر الجاحظ في رسائله نصوصا عن طرق التعبير وأساليبه والإمكانيات التي يمتلكها المتكلم في تصريفه لقدرات اللغة مع إبراز أهمية الإيماء والإشارة، كوسائل توظيف طاقة الإيحاء في بيان الدلالة)

2- كتاب الحيوان: تعرض فيه لذكر حياة الحيوان وطبائعه وطرق عيشه، وعجائب خلقه، مستلهما ذلك كله من معارف عصره، وهذا المصدر مهم لإبراز دور الجاحظ في البلاغة، ومعرفة أصول تفكيره الأدبي والجمالي، ناهيك عن جلّ تصوراته اللغوية العامة، وهي قاعدة تفكيره البلاغي التي أدرجت في هذا المؤلف.

3- البيان والتبيين: امتاز بتنوع المادة، وتعدد مواردها، وعدم تقيّد الجاحظ فيه بمنهج محكم، محدّد المعالم، وهو منطلق الدراسات الفكرية والبلاغية واللغوية والجمالية والأسلوبية والنقدية لكلّ دارس. كما أثبتته الدراسات التي أقيمت حوله.

4.المصطلحات البلاغية لدى الجاحظ:

إنّ كلا من المصطلح والمفهوم والحدّ أركان يكمّل بعضها بعضا، ولا يمكن بحال من الأحوال أن نغفل واحدا منها؛ لأنّها الوسيلة التي تكفل نقل العلوم – بشتى فروعها– ، وهي كما قيل مفاتيحها، كما " يعتبر هذا الثالوث خاصة المصطلح والحدّ من أهم من المؤشرات التي نتبيّن بها ما وصل إليه العلم من نضج وتمكّن، إذ لا يتسنى أن يتسنّم هذه الدرجة من التجريد العقلي إلا بعد عمل تمهيدي طويل، ومباشرة متواصلة لمادة ذلك العلم، فلا يتصور أن تنشأ عن طفرة وإلهام "[17]. وكذلك علم البلاغة فقد كانت مصطلحاته في هذه الفترة في طور الإرهاصات الأولى، " فمن القضايا ما قد فاز بالمصطلح المناسب والحدّ الفاصل، ومنها ما لا دليل على وجوده من الناحيتين جميعا، ومنها ما لا يزال متقلقلا إن حدّا وإن مصطلحا، والمادة البلاغية الراجعة إلى هذه الفترة لا تخرج في الجملة عن هذا الإطار العام "[18]. وقد لمسنا ذلك في كتابات الجاحظ، فهو يشير تارة إلى المصطلح البلاغي دون تحديد مفهومه، وأخرى يستعمل مصطلحا غير الذي استقرّ عليه في فترة متأخرة من البحث البلاغي، وفي مواضع نادرة يشير إلى مفهوم المصطلح البلاغي.

نموذج الاستعارة:

ذكر هذا المصطلح قبل الجاحظ لدى أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن، ولكن ليس بهذه التسمية، بل أدخلها تحت اسم المجاز، " ويظهر أنّه وجد في كلمة مجاز ما يغني عن الاستعارة، لأنّهما لم يتميّزا عن بعضهما ولم يحددا إلاّ في وقت متأخر"[19]، كما أنّه لم ينص عليها كما نصّ على التشبيه والتمثيل – فيما تقدّم –، وقد أتى على ذكر بعض أمثلتها في مستهل كتابه، ولم يورد لها شرحا أو تحليلا إلا في مواضع نزرة، ومن

أمثلة الاستعارة التي أشار إليها من دون شرح ولا بيان: يقول " ومن مجاز ما جاء من لفظ خبر الحيوان والموات على لفظ خبر الناس ، قال " **رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوكَبًا وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ رَأَيتُهُم لي ساجِدِينَ** "[20]، وقال " **قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** "[21]، وقال للأصنام " **لَقَد عَلِمتَ ما هؤُلاءِ يَنطِقونَ** "[22]، وقال " **قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** "[23]..."[24]، فالسجود يكون من قبل الآدمي لا من قبل الكواكب والقمر، والنطق لازم للآدمي وليس للجمادات والحيوان.

ومن أمثلة الاستعارة التي أتى على تحليلها: تفسيره لقوله تعالى" **وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقدامَ** "[25]، إذ قال" مجازه: يفرغ عليهم الصبر وينزله عليهم فيثبتون لعدّوهم "[26]، وقوله في تفسير قوله تعالى " **وَما رَمَيتَ إِذ رَمَيتَ وَلكِنَّ اللَّـهَ رَمى**"[27]، " مجازه ما ظفرت ولا أصبت، ولكنّ الله أيّدك وأظفرك وأصاب بك ونصرك، ويقال: رمى الله لك، أي نصرك الله وصنع لك "[28]، وقوله أيضا في تفسير قوله تعالى " **وَلَمّا سَكَتَ عَن موسَى الغَضَبُ** "[29] ، " أي سكن؛ لأنّ كل كاف عن شيء فقد سكت عنه أي كفّ عنه وسكن، ومنه: سكت فلم ينطق "[30]، وتفسيره لقوله تعالى " **فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ**"[31]، إذ قال " الفَكِه الذي يتفكه، تقول العرب للرجل إذ كان يتفكه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس، إنّ فلانا لفكه بأعراض "[32]، فاتّخذ من الاتساع مستندا لينقل لفظ " الفكه " عن طريق المجاز من المحسوسات (الطعام والفاكهة) إلى المعنويات (أعراض الناس).

يظهر ممّا سبق أنّ مصطلح الاستعارة لدى أبي عبيدة أقلّ تبلورا من مصطلح التشبيه، على الرغم من أنّها قائمة على علاقة الشبه، فهو وإن أشار في الآيات السابقة إلى أصل الوضع اللغوي للألفاظ، دون أن يغفل أيضا الإشارة إلى العملية المعنوية وهي النقل التي يتضمن وجود مستعار منه ومستعار له، بقي معنى الاستعارة لديه " قريبا من المعنى اللغوي بعيدا عن كلّ تصوّر نظريّ للكيفيات التي تتركّب حسبها هذه الصورة ومختلف المراحل والتحوّلات التي تفصل المعنى الأصلي عن المجاز، كما لم يتفطن إلى صلتها بالتشبيه ولم توضح وظيفتها الفنيّة والأدبيّة، وكلّ ما في الأمر أنّهم أقروها مجازا من مجازات العرب، وطريقة من طرائقهم في الاستعمال "[33]. وهي الغاية التي قصدها أبو عبيدة حين راح يثبت موافقة أساليب القرآن لأساليب العرب من جهة الاستعمال اللغوي.

وأول من ذكرا تفسيرا للاستعارة هو **الجاحظ**، حين علّق على قول الشاعر:

يا دار قد غيّرها بلاها	كـــــــأنّما بقلم محاها
أخربها عمران من بناها	وكرّ ممساها على مغناها
وطفقت سحابة تغشاها	تبكي على عراصها عيناها

قائلا: قوله: أخربها عمران من بناها، يقول: عمّرها بالخراب، وأصل العمران مأخوذ من العمر، وهو البقاء، فإذا بقي الرجل في داره فقد عمرها، فيقول: إنّ مدة بقائه فيها أبلت منها، لأنّ الأيام مؤثرة في الأشياء بالنقص والبلى، فلما بقي الخراب فيها وقام مقام العمران في غيرها سمي بالعمران، قوله: ممساها، يعني مساءها، ومغناها: موضعها الذي أقيم فيه، والمغاني المنازل التي كانوا بها أهلوها، وطفقت يعني ظلت تبكي على

عراصها عيناها، عيناها هنا السحاب، وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة، وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه "[34]، وقد ذكرت أمثلة من القرآن يؤكد بها ما ذهب إليه في تحليل قول الشاعر، منها قوله تعالى" هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ "[35]، والعذاب لا يكون نزلا، ولكن لمّا قام العذاب لهم في موضع النعيم لغيرهم، سمّي باسمه، ... وقوله تعالى " وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ "[36] " والخزنة الحفظة، وجهنم لا يضيع منها شيء فيحفظ ولا يختار دخولها إنسان فيمنع منها، ولكن لما قامت الملائكة مقام الحافظ الخازن سميّت به "[37].

ويعدّ تعريف الجاحظ للاستعارة، المحاولة الأولى في تاريخ تعريف الاستعارة لذلك لم يكن مانعا جامعا، لأنّه لم يمنع دخول المجاز العقلي، فهو تسمية الشيء باسم غيره، وقد اختلطت عنده بالمثل والتشبيه والبدل والمجاز والاشتقاق.

وامتد هذا المصطلح على هذه الشاكلة بعد الجاحظ، حتى زمن القاضي الجرجاني (ت 366ه)، الذي فرّق بين التشبيه البليغ والاستعارة.

خاتمة: خلص البحث إلى مجموعة من النتائج، وهي:

- اكتست بنية النص القرآني أهمية قصوى لدى علماء التراث العربيّ؛ ممّا جعل المباحث المتعلقة – ومنها المباحث البلاغية – ماثلة في جلّ العلوم العربيّة التي اتّخذت من القرآن الكريم موضوعا للدراسة؛ لفهم مقاصده ومراميه.
- قدّم الجاحظ من خلال جهوده البلاغية خدمة جليلية للبيان العربي، حين عمد إلى البحث في قضية الإعجاز، فعالج فيها مسائل البيان والبلاغة بعمق ودقة.
- على الرغم من أهمية النشاط البلاغي في أواخر القرن الثاني للهجرة، فقد بدا مشتّتا على مستوى الضبط المصطلحي في كثير من الأحيان؛ لأنّ هذه الفترة هي التي مثّلت إرهاصات النشأة البلاغية، ودليل ذلك الفترة التي تليها، إذ كانت مرحلة التأسيس الفعلي للبلاغة العربيّة على يد الجاحظ بإجماع مؤرخي البلاغة.

الهوامش:

[1] قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز عرفة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1986 ،ص6.

[2] ينظر: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، منشورات الجامعة التونسية، تونس، دط، 1981 ،ص47.

[3] كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، سوريا، الطبعة الأولى، 1952،ص1.

[4] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، ص5-6.

[5] البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الحادية عشرة، دت، ص368.

[6] البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، محمد بركات حمدي، دار البشير، الأردن، الطبعة الأولى، 1996، ص19-20.

[7] البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، محمد بركات حمدي، ص20.

[8] البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، محمد بركات حمدي، ص21.

[9] البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، محمد بركات حمدي، ص22.

[10] البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، محمد بركات حمدي، ص5.

[11] التفكير البلاغي عند العرب، ص138.

[12] الحيوان، ج1، ص41.

[13] الحيوان، ج1، ص471.

[14] ينظر: التفكير البلاغي عند العرب، ص144. بتصرف.

[15] ينظر: التفكير البلاغي عند العرب، ص145. بتصرف.

[16] ينظر: التفكير البلاغي عند العرب، ص145. بتصرف.

[17] التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، ص108.

[18] التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، ص109.

[19] قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، عبد العزيز عرفة، ص115.

[20] سورة يوسف، الآية 4.

[21] سورة فصلت، الآية 11.

[22] سورة الأنبياء، الآية 65.

[23] سورة النمل، الآية 18.

[24] مجاز القرآن، ج1، ص11/10.

[25] سورة الأنفال، الآية 11.

[26] مجاز القرآن، ج1، ص242.

[27] سورة الأنفال، الآية 17.

[28] مجاز القرآن، ج1، ص244.

[29] سورة الأعراف، الآية 154.

[30] مجاز القرآن، ج1، ص229.

[31] سورة يس، الآية 55.

[32] مجاز القرآن، ج2، ص163.

[33] التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، ص127.

[34] البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، ص152.

[35] سورة الواقعة، الآية 56.

[36] سورة غافر، الآية 49.

[37] البيان والتبيين، ج1، ص153.